

التحرير والتنوير

وهذا تركيب غريب النسخ بديعه . والمألوف في أداء مثل هذا المعنى أن يقال : لرهبتهم منكم في صدورهم أشد من رهبتهم من الله فحول عن هذا النسخ إلى النسخ الذي حيك عليه في الآية لينأتى الابتداء بضمير المسلمين اهتماما به وليكون متعلق الرهبة ذوات المسلمين لتوقع بطشهم وليأتى التمييز المحول عن الفاعل لما فيه من خصوصية الإجمال مع التفصيل كما تقرر في خصوصية قوله تعالى (واشتعل الرأس شيئا) دون : واشتعل شيب رأسي . وليتأتى حذف المضاف في تركيب (من الله) إذ التقدير : من رهبة الله لأن حذفه لا يحسن إلا إذا كان موقعه متصلا بلفظ (رهبة) إذ لا يحسن أن يقال : لرهبتهم أشد من الله . وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) في سورة النساء .

فاليهود والمنافقون من شأنهم أن يخشوا الله . أما اليهود فلأنهم أهل دين فهم يخافون الله ويحذرون عقاب الدنيا وعقاب الآخرة . وأما المنافقون فهم مشركون وهم يعترفون بأن الله تعالى هو الإله الأعظم وأنه أولى الموجودات بأن يخشى لأنه رب الجميع وهم لا يثبتون البعث والجزاء فخشيتهم الله قاصرة على خشية عذاب الدنيا من خسف وقحط واستئصال ونحو ذلك وليس وراء ذلك خشية . وهذا بشارة للنبي A والمسلمين بأن الله أوقع الرعب منهم في نفوس عدوهم كما قال النبي A " نصرت بالرعب مسيرة شهر " .

ووجه وصف الرهبة بأنها في صدورهم الإشارة إلى أنها رهبة جد خفية أي أنهم يتظاهرون بالاستعداد لحرب المسلمين ويتطاولون بالشجاعة ليرهبهم المسلمون وما هم بتلك المثابة فأطلع الله رسوله A على دخيلتهم فليس قوله (في صدورهم) وصفا كاشفا .

وإذ قد حصلت البشارة من الخبر عن الرعب الذي في قلوبهم ثني عنان الكلام إلى مذمة هؤلاء الأعداء من جراء كونهم أخوف للناس منهم الله تعالى بأن ذلك من قلة فقه نفوسهم ولو فقها لكانوا أخوف الله منهم للناس فنظروا فيما يخلصهم من عقاب التفريط في النظر في دعوة الرسول هذه المسلمين من رهبتهم فكانت والآخرة الدنيا في به كفرهم عواقب من فنجوا صدقه فعلموا A الرهبة مصيبة عليهم وفائدة للمسلمين .

فالجملة معترضة بين البيان ومبينه .

والإشارة بذلك إلى المذكور من قوله (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله) واجتلاب اسم الإشارة ليتميز الأمر المحكوم عليه أتم تمييز لغرابته .

والباء للسببية والمجرور خبر عن اسم الإشارة أي سبب ذلك المذكور وهو انتفاء فقاہتهم . وإقحام لفظ (قوم) لما يؤذن به من أن عدم فقه أنفسهم أمر عرفوا به جميعا وصار من

مقومات قوميتهم لا يخلو عنه أحد منهم وقد تقدم بيان ذلك عند قوله تعالى : (إن في اختلاف الليل والنهار) إلى قوله (آيات لقوم يعقلون) في سورة البقرة .
والفقه : فهم المعاني الخفية وقد تقدم عند قوله تعالى (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) في سورة النساء وقوله (انظر كيف نصرف الآيات لعلمهم يفقهون) في سورة الأنعام ذلك أنهم تبعوا دواعي الخوف المشاهد وذهلوا عن الخوف المغيب عن أبصارهم وهو خوف □ فكان ذلك من قلة فهمهم للخفيات .

(لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر) E A هذه الجملة بدل اشتمال من جملة (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من □) لأن شدة الرهبة من المسلمين تشتمل على شدة التحصن لقاتلهم إياهم أي لا يقدر على قتالكم إلا في هاته الاحوال والضمير المرفوع في (يقاتلونكم) عائد إلى (الذين كفروا من أهل الكتاب) .

وقوله (جميعا) يجوز أن يكون بمعنى كلهم كقوله تعالى : (إلى □ مرجعكم جميعا) فيكون للشمول أي كلهم لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون إلا في قرى محصنة الخ .
ويجوز أن يكون بمعنى مجتمعين أي لا يقاتلونكم جيوشا كشأن جيوش المتحالفين فإن ذلك قتال من لا يقبعون في قراهم فيكون النفي منصبا إلى هذا القيد أي لا يجتمعون على قتالكم اجتماع الجيوش أي لا يهاجمونكم ولكن يقاتلون قتال دفاع في قراهم